الفصل السابع

(دمعات من القب)

ما أصعب البكاء بلا دموع!..وما أصعب الآلام دون صرخات تنفس عنها!..والأصعب قلب ينزف من لا شيء.

يستيقظ يوسف من نومه ليتحدث إلى إسلام ويخبره عما حدث .....انفعل إسلام بشدة من حديث يوسف وقال:

-إنت مش وعدتني ووعدت نفسك إنك هتبعد عن الطريق ده... سيبت هايدي وشوفت بنت تاني.

ظل إسلام يعنف في صديقه لخوفه عليه أن يتمادى في عصيانه لله ودائماً يذكره بأنه لا يجوز أن يصاحب الفتيات....ولكن يوسف لايعرف كيف يرد عليه فاكتفي قائلا:

- يعني أنا جاي أقولك ساعدني تعمل معايا كدا؟

- ماهو عشان أنا بحبك بعمل معاك كدا ...يوسف أنا لو مش بحبك كنت وافقتك على اللي إنت بتعمله.

ثم أخذ يوسف يحث إسلام على العفة وفضل مَن يتحلى بها ويعف قلبه لله، ثم ذكر له قصة صديقه محمد الذي عف قلبه ونفسه فأكرمه الله بمَن تقر عينه .... أخذ يوسف يفكر في كلام صديقه و اقتنع به ثم قطع شروده صوت إسلام قائلا:

- إيه يابني؟ روحت فين؟

- ها...لا مافيش حاجة ...أنا متشكر ليك أوي يا إسلام.

- يابني ما فيش بين الإخوات شكر...واعمل حسابك فرح أختي الاسبوع الجاي أنا بعرفك بس إنت مش محتاج عزومة أصلاً.

- ألف مبروك يا إسلام و عقبالك ياحبي أما أفرح بيك.

- -

تلتقي مريم بإيمان معلمتها هي و سديم في حفظ القرآن.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إيمي وحشاني.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته و إنتى أكتر يا مريومة.....أمال فين سديم؟

- عندها ظروف كدا و بتعتذرلك.

تجلس مريم و إيمان تتحدثان سوياً ثم تلاحظ إيمان شيئاً غريباً يشغل بال مريم.

- مالك يا مريم؟ حاسة فيكي حاجة.

تحاول مريم أن تتوارى خلف ابتسامتها التي رسمتها علي وجهها لتقول:

- مافيش حاجة يا حبيبتي، موضوع كدا.

لحظات قليلة ولم تتمكن مريم من كتمان ما بداخلها لتسقط دمعاتها رغماً عنها ثم تخبر إيمان عما بداخلها وأنَّ قلبها دق لشخص مثل يوسف لتبوح لها والدمعات تنهمر من عينيها.

- معرفش يا إيمان ليه هو...هو أصلا مافهوش أي مواصفات من اللي بحلم بيها و دية كانت أول مرة أشوفه، دايماً أخته بتشتكي منه ...معرفش معرفش.

ثم ترتمي بين أحضان إيمان وتنهمر بالبكاء...تمسح إيمان بيدها على رأس مريم وتقول:

- اهدي ياحبيبتي 00اهدي أكيد ربنا ليه حكمة في كدا ومحدش عارف الخير فين.
ثم تابعت إيمان حديثها قائلة:
- إن القلوب بين يدي الرحمن يقلبها كيف يشاء، فمتعرفيش ياحبيبتي، لعل الله يهديه ويجعله من الصالحين.
نظرت إليها مريم وقالت:
- آمين يارب.

هدأت مريم قليلا ثم قالت لها إيمان:
-هو إحنا هنتهرب من تسميع الوِرْد ولا إيه؟
-لا مش هنهرب ولا حاجة هسمع حاضر.
وبعد أن انتهت من تسميع وِرْدها:
- صح يا مريم فرحي يا حبيبتي الأسبوع الجاي كلكم معزومين وماما هتتصل بمامتك تأكد عليها معندكيش حجة ...و سديم أكيد معاكي.
غمرت السعادة مريم لسماع ذلك الخبر الذي أدخل السرور على قلبها.

وأثناء عودة مريم إلى بيتها شاردة الفكر تفكر في قلبها الذي خانها ليقاطع شرودها رنين هاتفها
- السلام عليكم ..أخبارك يا مريومتي؟
- وعليكم السلام ..الحمد لله يا سديم طمنيني ياحبيبتي عنك ماشوفتكيش النهاردة.
- معلش يا مريم تعبت الصبح و مقدرتش أنزل.
- ألف سلامة عليكي ياحبيبتي طمنيني طيب.
- الحمد لله يا بطتي بقيت أحسن.. عملتي إيه مع إيمي؟
- الحمد لله سألت عليكي قولتلها عندها ظروف معلش.
- طيب كويس ... لإني مش بحبها تزعل مني.
- صح فرحها الأسبوع الجاي و عزماكي ... عاوزين نخليها أحلى عروسة ..هي تعبانة معانا في الحفظ جه وقت رد الجميل.
- إيه؟ ده بجد؟.... عقبالك يا قمراية يارب أما أفرح بيكي.. لا ماتخافيش هنرد الجميل أوي.
- ربنا يباركلي فيكي ..إنتى الأول يا سديم يارب.

تنتهي المكالمة بينهما لتصل مريم إلى منزلها لتجد والدتها تتحدث إلى الهاتف قائلة:
- ربنا يتمم بخير يارب.. حاضر ياحبيبتي هنيجي إن شاء الله.
تدخل مريم إلى غرفتها بعد يوم طويل وشاق أنهك جسدها الضعيف ثم تسمع صوت والدتها تقول:
- يا لا يابنتي، الغدا جاهز.
وعلى مائدة الطعام تخبر والدة مريم زوجها بزفاف إيمان صديقة ابنته وأنهم مدعوون لذلك الزفاف وافق الأب على ذهابهم واعتذر لهم على عدم مقدرته على الحضور لظروف عمله.
- بابا أنا مش بحب أفراح الناس الملتزمة.
قالها صهيب وهو ينظر إلى والده ويبدي رفضه على عدم الذهاب ليقاطعه والده ويقول:
- إنت الراجل معاهم يا أستاذ ولازم تروح معاهم.

أذعن صهيب إلى أمر والده رغماً عنه.

الفصل الثامن

(أحبك في الله)

من أجمل نعم الله أن يرزقك بصديق يدلك على الطريق إلى الجنان إن التقيت به فلا تتركه.

تلتقي مريم وسديم في الجامعة ومعهما إسراء فتاة هادئة الطباع ترتدي ذلك اللباس الفضفاض الذي يشعرها بالأمان لا يصف ولا يشف، محبوبة من مريم وسديم لتتحدث قائلة:
- أنا يا بنات عندي مشكلة وما لقتش أحسن منكم آخد برأيه..أنا نفسي ألبس النقاب أوي بس مش لاقيه كلام أقوله لماما عشان أقنعها و مش عارفة أعمل إيه؟
تبدأ مريم بالحديث قائلة :

- بصي النقاب ده عشق من نوع خاص ولازم إنتي يا سوسو الأول تكوني عاوزة تلبسيه لرضا الله مش عشان نفسك بس عشان تاخدي الثواب ...قوليلها ياماما مش عاوزة حد يشوف جمالي غير بسلامته..
وتضحك إسراء وسديم على حديث مريم لتتابع حديثها..
قوليلها يا ماما ده هيرضي ربنا و أنا نفسي أتشبه بأمهات المؤمنين عشان أدخل معاهم الجنة، وأبكي لربنا أووووي و اصدقي ياحبيبتي وربنا هيكرمك....ابقي هاتيلها هدية وإنتى بتقوليلها ....عارفة فكرتيني بإحساسي وأنا أول مرة ألبسه ساعتها صهيب فضل يضحك عليا و يقولي شبة البتنجانة والصندوق الأسود حاجات غريبة وآسر كان خايف مني في الأول بس بقى يتريق هو كمان في الأول كنت بضايق بس دلوقتي عادي هي بتبقي اختبارات من ربنا يشوف مدى صدقك وتحملك ... امممم أقولك قوليلها عاوزة أحافظ على نفسي.

- قولتلها كدا قالتلي لبسك واسع ومش شفاف ومش ضيق وإنتى أحسن من غيرك.
- طيب تسمحيلي أقول رأي؟ قالتها سديم.
ردت إسراء قائلة:
- أكيد يا حبيبتي قولي.
- بصي يا حبيبتي إنتى قوليلها يا ماما في حاجة حلوة و حاجة أحلى منها حاجة أفضل وحاجة أفضل منها فهمتي يعني لبسك حلو بس فى أحلى منه.....

تابعت سديم حديثها حتى سمعنَ آذان الظهر ليذهبْنَ جميعا إلى المسجد وقد عزمت إسراء على فتح الموضوع مع والدتها.

- -

يعلو رنين هاتف يوسف.
- ألو.... إسلام عامل إيه؟
- بخير يا بيه... ابقى قول السلام عليكم...فينك كدا؟
- في مشوار برة.

- مش جاي يعني الكلية؟
- إن شاء الله هخلص وآجي.

تنتهي المكالمة بين الصديقين و يتساءل إسلام نفسه ترى أين يوسف ومع مَن الآن؟
بعد الانتهاء من الصلاة يعلو رنين هاتف إسلام.

- السلام عليكم يا يوسف.
- و عليكم السلام .... أنا برة الكلية اطلعلي دلوقتي حالاً يا إسلام.

يغلق الهاتف ...ولم يشعر إسلام بنفسه كيف وصل بتلك السرعة إلى صديقه.
- مالك يا يوسف؟...... قالها إسلام وهو يلهث.
- اهدى يابني و خد نفسك... اركب معايا بس.
تنطلق السيارة إلى وسط المدينة ويسأله إسلام:
- يابني مودينا على فين كدا؟
- قربنا نوصل.
تقف السيارة أمام أحد المحلات التجارية.... دخل الاثنان الى المحل بعد أن طلب يوسف من إسلام أن يختار معه ما يناسبه ليرتديه في فرح أخته.
اختار إسلام احدى البِدَل التي وقال:
- دية أشيك يا يوسف.
يتفاجأ إسلام برد يوسف وهو يقول:
- خلاص ديه يا صديق حلال عليك.
- إنت بتقول إيه؟
- أيوة يا إسلام أنا جايبك هنا عشان تختار هديتك ...اعتبرها هدية مش إنت دايما تقولي اللي بيحب التاني في الله يقوله...أنا بحبك في الله ودية هدية بسيطة.
- أحبك الله...بس كدا كتير معلش يا يوسف مش هقدر أقبلها.
- عشان خاطري بالله عليك ما تكسفنيش...ديه أقل حاجة أقدر أرد بيها جميل من جمايلك إنت تعبت معايا.
- إيه اللي إنت بتقوله ده .. صدقني مش هينفع .... أنا بعمل لله يا يوسف وعشان فعلا إنت أعز صحابي ...أو إنت يعتبر صحبي الوحيد.

أصر يوسف على موقفه إصراراً شديدة حتى قبل إسلام هديته ... وفي السيارة
- جزاك الله خيراً يا يوسف على الهدية.
- يابني ما تقولش كدا ....إنت أخويا..عارف يا إسلام بتمنى أبقى زيك كدا ربنا يزيدك...بحبك في الله يا سمسمة.
تتعالى ضحكات الصديقين سوياً.
- إيه سمسمة ديه يا عم يوسف؟...أحبك الله يا غالي، أنا اللي بحبك في الله أكتر، ونفسنا نحط إيدينا في إيد بعض ونشتغل في الدعوة مع بعض وننشر دين ربنا.
- إن شاء الله يا إسلام.

- -

وعلى مائدة العشاء في منزل المهندس جمال المصري تخبر سديم والدها بموعد الفرح.
- بابا إن شاء الله بكرا الفرح اللي قولت لحضرتك عليه.
- خير يا بنتي عقبال فرحك إنتى وأخوكي يارب.
- يوسف الأول يابابا.
يقطع شرود يوسف صوت والده وهو يقول:
- يوسف.
- ها... معلش يابابا مش واخد بالي.
- بقولك بكرا تروح تودي أختك الفرح.
- حاضر يابابا إن شاء الله .. فين يا سديم الفرح عشان بكرا بردو عندي فرح.
- في مسجد الصديق.
تعجب يوسف عندما سمع اسم المسجد....
- ده في قاعة كام؟
- قاعة 1 ...ليه بتسأل يعني
- أصلي معزوم على نفس الفرح... واحد صحبي ده فرح أخته.
- آه... ماهي بتحفظنا أنا ومريم.
انتبه يوسف لحديث مريم ليقول :

- هي مريم صحبتك جاية؟
تتفاجأ سديم من سؤال يوسف.
- آه يا يوسف إن شاء الله
شعر يوسف بإحراج شديد ثم قال :
- الحمد لله أنا شبعت هروح أنام يابابا بعد إذنك.
يذهب يوسف إلى غرفته ولا يدري ماذا يحل به عندما يسمع سيرة مريم تساؤلات تدور بباله؟..